رسالة
معهد القراءات القرآنية
المملكة الأردنية الهاشمية
جمعية المحافظة على القرآن الكريم
رسالة علمية دورية تصدر عن معهد القراءات القرآنية في جمعية المحافظة على القران الكريم
العدد (٣)

أعلى القراء إسناداً في العالم..

(الشيخ بكري الطرابيشي) في ذمة الله

إعداد: د. محمود حسين محمد
مدير معهد القراءات القرآنية

هو الشيخ العلامة المقرئ الزاهد العابد المربي الفقيه[1]، ولد سنة (١٣٣٨هـ، ١٩٢١م) لأسرة دمشقية ذات دين وعلم وأدب، درس الفقه والقراءات على أكابر علماء عصره، حتى انتهى إليه علو الإسناد في هذا الزمان، فصار مهوى كل راغب، طال عمره فقضاه في طاعة الله وفي تعليم كتابه، ابتلي وامتحن في دينه وفي دنياه فكان من الصابرين الثابتين، لم يلهه مال ولا ولد عن ذكر الله، فرحمة الله عليه وعلى عباد الله الصالحين.

■ النشأة والتربية:

ولد الشيخ بكري بن عبد المجيد بن بكري بن أحمد الطرابيشي (أبو ماجد) في حي قديم من أحياء دمشق المحروسة يسمى (باب سريجة)، لأب كان لغزارة علمه وفقهه ولرياسته يدعى (حنيفة الشام). فقد كان والده عالماً وجيهاً من وجهاء دمشق المعدودين، ومن خواصها وأهل الفضل فيها، وكانت إحدى أمنياته أن يكون واحد من أولاده شيخاً من شيوخ الإقراء، فكان أن وقعت إرادة الله تعالى على الشيخ بكري، فأرسله والده رحمه الله إلى مجالس شيوخ الإقراء في ذلك الزمان الذين كان هو إما شيخ بعضهم أو صديق حميم لبعضهم الآخر.

وبهذه التربية الثنائية (البيت الصالح ومجالس العلم والإقراء) نشأ شيخنا الشيخ بكري نشأة سليمة قويمة. فقد كان والده رحمه الله تعالى شديد الحرص على تنشئة لأبنائه تعصمهم في الدنيا وفي الآخرة. فلم يدخل في جوفهم ولا في عقولهم حراماً أو أي شيء لا يرضاه الله سبحانه وتعالى. فكان حريصاً على حلال الرزق، كما يقول ابنه الشيخ بكري، وكان بيته إسلامياً ملتزماً خالياً من الملهيات، قال الشيخ بكري: كان والدي لا يسمح بمناجاة لا ترضي الله تعالى أبداً، وكان إذا سمع شيئاً من ذلك رفع صوته وهو يقول: (تب علينا يا تواب، تب علينا كي نتوب) مذكراً أهل بيته بالتوبة عن هذه المناجاة. رافق هذه التربية البيتية الدينية جولات في مجالس العلم والإقراء عند أكابر العلماء والقراء. فحفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره، وأجاده وأتقنه وهو في الخامسة عشرة، حيث بدأت رحلته مع القرآن والقراءات، فخُلط بعظمه ودمه، ورباه أحسن تربية. رافق ذلك دراسته في المدارس النظامية في مراحلها الابتدائية والإعدادية بتفوق باهر، حتى تخرج من المرحلة الثانوية بشهادة في التجارة، استفاد منها أثناء عمله بالتجارة مع أحد أشقائه، مما ساهم في تشكيل شخصية متكاملة للشيخ بكري جامعة لمتطلبات الحياة الدنيا في طريق سيرها إلى الله سبحانه وتعالى، وقادرة على إعمار الأرض بالعلم والإيمان والعمل والفكر.

■ التلقي والقراءة:

في رحلة طويلة بين مجالس الإقراء وشيوخه يتنقل الشيخ بكري الطرابيشي، وفي كل خطوة من هذه الرحلة يعلمنا هو وشيوخه منهجاً من مناهج التلقي والتربية والتعليم، كمثل تلك التي استقيناها من كبار أئمة الإقراء المتقدمين.

- فقد عمل رحمه الله على تعدد شيوخه، فتنقل بين مشايخ الإقراء في عصره عملاً بما كان عليه الأئمة السابقون حين قالوا: (من أخذ هذه القراءة أو الرواية من طريق واحد فلن يشم رائحتها). فدرس على الشيخ «عبد الوهاب دبس وزيت» الذي كان شديد التدقيق والتمحيص والضبط، فأخذ عنه الضبط والتدقيق، وقرأ عليه الفقه والعلوم. ثم على الشيخ «عز الدين عرقسوس» الذي كان زاهداً عابداً هيناً متساهلاً مع طلابه، وكان من حاله أنه يقوم في العبادات بما لا يقوم به إلا الموفقون، فساهم في تمكينه للقرآن الكريم. ثم على الشيخ «عبد القادر الصباغ» فقرأ عليه عدة ختمات بعدة روايات، وقال: أخذت عليه جودة الأداء والإتقان مع الاعتدال. ثم حفزه وشجعه لأخذ القراءات، وأخذه وأجلسه بين يدي الشيخ «محمد سليم الحلواني»، شيخ شيوخ عصره، الذي كان مهيباً وقوراً، فأخذ عليه القراءات السبع من طريق الشاطبية، وأجازه بها سنة ١٩٤٢م، قبل وفاة الشيخ بشهرين. قال الشيخ بكري رحمه الله: ولم يطلب مني حفظ المتون، لكنني بادرت بحفظها. وقال أيضاً: فبادرني الشيخ دون طلب مني بإجازتي، وطلب مني كتابة الإجازة عند خطاط، فأخذتها إلى أحدهم الذي ذهب وتأكد من صدقها من الشيخ، ثم ختمها الشيخ بختمه. أراد الشيخ بكري بعد ذلك أن يكمل القراءات العشر الصغرى فأخذها على قرينه وشيخه الشيخ محمود فايز الديرعطاني، بختمة جديدة بالقراءات العشر الصغرى من طريقي الشاطبية والدرة. وبهذا كان لتعدد مشايخ الشيخ بكري رحمه الله، وتعدد صفاتهم الشخصية والعلمية أثر في صقل شخصيته العلمية والتربوية، فأفاد من كل واحد منهم في سلوكه وفي علومه.
- اكتسب الشيخ بكري رحمه الله تعالى منهج التدقيق والتمحيص

(١) جميع ما جاء في هذه الرسالة مأخوذ من مقابلات تلفزيونية وإذاعية وصحفية مع الشيخ بكري، أو من أفواه تلاميذه، أو مما شاهده كاتبها من أحواله.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والضبط من الشيخ «دبس وزيت» الذي قال فيه: لبثنا معه خمسة عشر يوماً نضبط سور الفاتحة والناس والعلق، وأضاف إليه منهج الاعتدال من شيخه «عبد القادر الصباغ»، فجمع بين الأمرين كما يروي عنه طلابه.

- يقول الشيخ بكري رحمه الله: كان الشيخ «محمد سليم الحلواني» يتحرى في اختيار طلابه، فطلب منه عند قدومه إليه أن يقرأ، فقرأ على مسامعه ما تيسر، ثم سأله في علوم العربية وأطال في ذلك، ثم في العلوم الأخرى، فلما رأى منه الإتقان لهذه الأمور بدأ بإقرائه رحمه الله.

■ منهجه في الإقراء والتعليم:

عاش الشيخ بكري رحمه الله تعالى بعد ذلك حياته مع القرآن الكريم، حيث قال: عمري في القرآن حوالي (٧٠) سنة. نعم، سبعون سنة قضاها رحمه الله تعالى في تعليم القرآن الكريم، قضى منها (٣٥) عاماً مرابطاً على ثغر من أغلى الثغور، على لقب من أشرف الألقاب، في سنوات طويلة كان فيها (أعلى القراء إسناداً في العالم). وكان حريصاً رحمه الله أن يبقى في مجالس الإقراء طوال حياته على أمل الموت على ذلك، حيث قال في آخر سني عمره: (لم أعد أقرئ الآن لكبر سني، فقط أحتفظ ببعض الطلاب كي أموت وأنا أقرئ). وقد جمع رحمه الله بين علو السند وبين الاتقان في الأداء، **يقول شيخ قراء الشام الشيخ كريّم راجح: (نسلم للشيخ بكري علو إسناده في القراءات السبع من طريق الشاطبية)**. وقال: (من أراد أن ينظر إلى قراءة آل الحلواني وهم سادة القراءة والإتقان فلينظر إلى قراءة الشيخ بكري فهي مطبوعة فيه).

نهل الشيخ بكري رحمه الله من مشايخه مع العلم منهجهم في الإقراء والتربية، مما كان له الأثر الكبير على سلوكه مع طلابه، فكان رحمه الله – كما يشهد طلابه – معلماً ومربياً. ومن منهجه ما يلي:

- لم يبدأ بالإقراء إلا بعد الضبط والإتقان، وفي ذلك قال عن نفسه: (لم أتصدر للإقراء بعد قراءتي على الشيخ محمد سليم الحلواني إلا بعد الضبط والإتقان والتمكن).
- كان ضابطاً للقراءات مع انقطاعه عن الإقراء زماناً لانشغاله بالتجارة، ولاضطراره الانتقال خارج بلاده لسنوات عدة.
- كان يكرم طلابه ويبَشُّ لهم ويحنو عليهم، ولا يفرق بينهم، منعماً كان الطالب أم فقيراً.
- كان يجلس للإقراء وهو متيقظ متنبه لا ينام ولا يسهو أثناء الإقراء.
- كان جلداً على الإقراء والتعليم، يجلس الساعات الطوال لذلك، فقد كان كما يقول: يقرئ قبل الفجر وبعد الفجر ووقت الضحى وبعد الظهر وبين المغرب والعشاء وبعد العشاء.
- كان لا يقبل الهدية من تلاميذه، ولا يأخذ على إقرائه شيئاً، وكان دائماً يقول: (الحمد لله الذي جعل رزقي تحت ظل تجارتي). بل كان – كما يقول طلابه – يظهر الغضب إذا قدم الطالب إليه وهو يحمل شيئاً من قبيل الهدية. يقول أحدهم: (إن أحد طلابه كان صاحب بقالة، فطلب منه أن يحضر له شيئاً منها بالثمن، فحضر الطالب ومعه ما يريد الشيخ، لكنه كان مشغولاً فلم يلحظ قدوم الطالب الذي وضع الأشياء وغادر. فلما فرغ الشيخ سأل عنه، فقالوا: غادر، وبقي ينتظر قدومه ويسأل عنه وهو لم يحضر. فلما كان اليوم الثالث ذهب إلى دكانه –مع كبر سنه – وأعطاه النقود، فقال له الطالب: يا شيخ لو انتظرت حتى آتيك، فقال: لا أريد أن أموت وأنا مدين). ولذلك كان رحمه الله يفخر ويقول: **(لا أحد يستطيع أن يقول أن له علي بكري منة في أموره الدنيوية)**.
- كان متواضعاً لطلابه ويفخر بهم ويظهر لهم التشجيع الدائم. فقد كان يخاطبهم ويقول لهم: (بدونكم لا أساوي شيئاً)، وكان يقول: (الناجي يوم القيامة منا فليأخذ بيد أخيه)، وكان يقول أيضاً: (كانوا طلابي، ثم صاروا أصحابي، ثم صاروا أشياخي).
- كان رحمه الله مع حمْله للواء (أعلى إسناد في العالم) لسنوات طويلة، وبرغم ما كان يَسبب له هذا اللقبَ من ضغط وتوافد للراغبين عليه –سواء حسنت نيتهم أم لا–، كان ثابتاً على شرط الأئمة في الإجازة، فقد قال: **(لا أسمح لأحد أن يجيز عني إلا لمن قرأ عليّ القرآن كاملاً من أوله إلى آخره، بالشرط المعتبر عند أهل القراءة)**. ولذلك لما رأى رحمه الله بعضاً ممن قرأ عنده سوراً أو مواضعاً وأجازهم بذلك ضمن ظروف وشروط خاصة، لما رأى منهم سوء النية، وسوء استخدام ذلك، بدأ يصدر البلاغات التي تتبرأ من بعضهم، وتبين منهجه رحمه الله، ومن ذلك البلاغ الثاني الذي جاء فيه: (وإني لما كنت في الماضي أجزت أناساً بقراءتهم عليّ شيئاً من القرآن ضمن ظروف وشروط خاصة معينة، فإني لم أجز لأحد منهم أن يجيز غيره ويقول إنه قرأ علي القرآن كاملاً). ويقول: (أجيز بالإجازة المعتبرة عند أهل هذا الفن).
- لم يتوقف رحمه الله عن التعليم والتلقي حتى مع كبر سنه، فقد كان له مع إخوانه من مشايخ الإقراء في الشام، مثل الشيخ أبو الحسن الكردي والشيخ محمد سكر والشيخ عبد الرزاق الحلبي- رحمهم الله- جلسة أسبوعية يقرؤون فيها رواية من الروايات ويتذاكرون القرآن الكريم.

■ حياته العامة والدعوية:

ولد الشيخ بكري لعائلة معروفة بالتجارة، حتى أنه يقول أن سبب لقبه (الطرابيشي) جاء لأن أحد أجداده هو أول من أدخل (الطربوش) إلى الشام. فما أن أنهى الشيخ المرحلة الثانوية حتى جذبه أحد أشقائه للعمل معه في التجارة، رغم رغبته باستكمال دراسته في أحد العلوم التطبيقية (هندسة، طب،...)، إلا أن شقيقه أصر على ذلك. واستمر الشيخ بكري في طريق التجارة حتى أصبح من كبار تجار الشام، فقد قال عن نفسه: (لم أكن تاجراً عادياً، بل كنت تاجراً كبيراً). طور أعماله بعد ذلك ووسع اهتماماته فاشتغل (بمقاولات البناء والإعمار)، فساهم بفضل ذلك في إعادة إعمار دار الحديث الأشرفية بجوار قلعة دمشق والتي درّس فيها الإمام النووي بعد أن كادت تندرس.

كان للتربية العلمية والإيمانية والقرآنية على الشيخ بكري رحمه الله أثر كبير، وخصوصاً في التفاته إلى قضايا عصره وواقع أمته، فرأى أن هذا العلم والتربية لا بد لهما من عمل يكتملان به ويحققان الفائدة المرجوة، فكان من مؤسسي العمل الإسلامي في سوريا عام ١٩٤٢م مع الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله.

منّ الله سبحانه على الشيخ بستة من الأبناء وثلاثة من البنات حقق فيهم ما كان يرجوه في نفسه من دراسة في العلوم التطبيقية، فخرجوا جميعاً إما أطباء أو صيادلة أو مهندسين، بل ومن كبار المتخصصين في هذه المجالات. فقد كان من تفكير الشيخ بكري أنه لا بد لأهل الدين والالتزام أن يخوضوا غمار هذه العلوم.

عاني الشيخ بكري رحمه الله من ظلم حكام بلاده وذلك بسبب ما كان يحمله من دين وفكر إسلامي صحيح. فقد كان رحمه الله ينوي بناء حي في أحد ضواحي دمشق في منطقة (دمّر)، كي يكون على نمط إسلامي ملتزم، إلا أنه بعد شراء الأرض والبدء بالتنفيذ سيطرت عليه حكومة بلاده الظالمة. واضطر الشيخ بكري رحمه الله في أواخر السبعينيات من القرن الفائت إلى إخراج أولاده من بلدهم إذ كانت فترة ابتلي فيها أهل الإيمان والدعوة من حكام سوريا، تبعهم هو كذلك في مغادرة سوريا، عاد بعد ما يقارب الخمسة عشر عاماً إليها، كي يضطر إلى الحصول على إذن للسفر في كل مرة يسافر فيها، من دون مراعاة لسنه أو علمه أو وجاهته.

كان الشيخ بكري رحمه الله عابداً لله تعالى، حريصاً على أداء الصلوات في المسجد رغم كبر سنه وعدم قدرته على الحركة، صيفاً وشتاء. وكان رحمه الله إذا سئل عن أمنيته قال: (أتمنى أن يحسن الله ختامي).

كان رحمه الله متواضعاً، لا يمدحه أحد بشيء هو فيه إلا اتهم نفسه بالتقصير وسوء الحال. حتى علو إسناده الذي يعد مفخرة لكل مفتخر، كان يقول فيه بكل تواضع وتذكر لنعمة الله: (لم أحصل عليه بزيادة علم أو تقوى، إنما حصلت عليه بموت أقراني).

توفي الشيخ بكري بن عبد المجيد الطرابيشي في يوم الخميس (١/ ربيع الثاني/١٤٣٣هـ) الموافق (٢٣/شباط/٢٠١٢م) في إمارة دبي أثناء رحلة علاج عند أحد أبنائه. وقد ترك بعده مجموعة من حملة علمه وسنده ومنهجه. فرحمه الله رحمة واسعة، ونفعه بعلمه وعمله، وجعل جهود تلاميذه في ميزانه، وعوض المسلمين عن فقدانه العوض الجميل.

والحمد لله رب العالمين

هاتف: ٠٦ ٤٦٣٥٣٥٤ – خلوي: ٠٧٨ ٨٣٤٨٦٥٢

بريد الكتروني: mhmmz1978@yahoo.com